## هنا و هناك

عزيزي اليوميّات،
عندما فتحتك الآن، أدركت كم اشتقت إليك.
. أكثر من كل المرات التي أردت أن أكتب لك فيها ولم أفعل

ربما لأنني، لفترة قصيرة، توقفت عن المغامرات.
عشت على القصص التي كُتبت، والرحلات التي عشتها، ورسائل أصدقائي البعيدين.
. لكن الآن، ومع بداية مغامرة جديدة، أشعر بالكلمات تنفجر داخلي مثل الألعاب النارية

هل تعرف ما الأمر؟
ليس عدد الأشياء التي أريد أن أحكيها هو المهم، بل الشعور الذي أحسّ به كل مرة أفتحك وأرى الصفحة البيضاء.
. كل شيء لم يحدث بعد... وأنا من أقرّر ما سيحدث

أتعرف ماذا يعني ذلك؟
أظن أنك تعرف.
أنت صديقي، وتسمع حماسي دون أن تقاطعني.
لا تهتم فقط بالوقائع، بل بفرحة الحكاية نفسها.
. تسامحني إن خرجت عن الموضوع، ولا تنظر إليّ كفتاة مراهقة قلقة

أحياناً أتمنى أن أكون شخصين:
واحدة تعيش، وواحدة تكتب في اللحظة نفسها.
لكن ربما لا حاجة لذلك.
من يعيش دائماً في سفر، ولو بالخيال، يعيش في مكانٍ بين عالمين.
. ومن هناك، يمكن رؤية العالمين معاً

وربما... وجدت أخيراً شخصاً يعيش هناك مثلي.

حانتي المفضلة في إدنبرة. **Whisky Bar**، قبل أسابيع، بعد المدرسة، ذهبت إلى ونستمع إلى الموسيقى. **cranachan** كان جدي يأخذني دائماً إلى هناك لنأكل أفضل أكثر شراب برتقالي في بريطانيا، **Irn-Bru** هو كان يشرب الويسكي، وأنا أشرب!

**Royal Mile**. جلست اليوم أيضاً على طاولتي المعتادة قرب النافذة، المطلة على
كان المطر يتساقط، وكان هذا مناسباً تماماً.
. أردت فقط أن أرتاح من ساعات التاريخ المملة وأن أتصفح دفاتري

**haggis, neeps and tatties**. طلبت شرابي المعتاد، ومعه
جلب لي صاحب المكان منديلًا مطوياً على شكل بجعة.
. يقول إنه يجلب الحظ

أخرجت دفتري.
في حقيبتي دائماً أكثر من دفتر، مليئة بالصور والرسائل.
". أسميها "جوازات سفري الموازية

أنظر إليها لأتذكر أن العالم أكبر من المدرسة والامتحانات.
زملائي يقولون: "جميل!"
. لكنهم يسألون فقط عن الإنترنت والمتاجر

أسئلة صغيرة...
أفضل من أسئلة عمّتي غيرترود ووينيفريد،
اللتين تقولان:
" "لماذا تذهبين إلى أماكن بعيدة؟ أليس كل شيء هنا أفضل؟

أنا أحب مدينتي.
لكنني أشعر أحياناً أنني أعيش نصف حياة:
قدم هنا، وقدم في عالم يناديني.
. بيتي مثل بيت بابه مفتوح دائماً قليلاً

.كنت أفكر في هذا... عندما رأيتها

كانت تجلس أمامي، وحدها.
امرأة أكبر مني، ربما في الثلاثين.
شعرها مضفور، وترتدي أقراطاً تشبه أقراط الأسواق الشرقية.
بدت كمسافرة حقيقية، لا من الصور.
. وشبهتني... بنفسي

تبادلنا نظرة وابتسامة.
! ثم سكبت نصف شرابي على دفتري

ضحكت، وقالت لي:
" "هل تحتاجين مساعدة؟

.هكذا بدأ الحديث

اسمها **هيبا**.
إيطالية من روما.
عالمة آثار، تعمل بين إيطاليا والسودان.
. كانت في إدنبرة لمؤتمر جامعي

ضحكتها كانت جميلة.
تحدثنا طويلاً.
. لم يكن المهم ما قالت، بل كيف قالته

قالت لي وهي تنظر إلى صوري:
". "أنا أيضاً أجمع أصدقاء من العالم... لكن أجدهم تحت الرمل

قالت إن **جبل البركل** في السودان هو بيتها الثاني.
كانت تتحدث عن المكان وكأنه شخص.
. عن النيل، والصحراء، والجبل الذي يتنفس معها

فهمت حينها أنها تشبهني.
تفهم أن البيت ليس فقط حيث نولد.
. وأن العيش بين عالمين ممكن

كتبت في دفتري جملة:
**”. “البيت هنا وهناك**

---

في المساء، فتحت دفترها.
شعرت برائحة الرمل.
وقرأت كلماتها عن السودان،
. عن الشاي، وعن الناس، وعن المشاركة

أغلقت الدفتر وشعرت بعقدة في حلقي.
. كأنها كتبت أفكاري

أدركت أن الناس أحياناً يتعرفون على بعضهم قبل الكلام.
وأن السفر ليس لاكتشاف الأماكن فقط،
. بل لاكتشاف أنفسنا في الآخرين

علّمتني هيبا شيئاً لن أنساه:
. الحنين جسر، وليس عبئاً

---

منذ ذلك اليوم فكرت بها كثيراً.
أرسلت لي صوراً من روما.
. ثم صمتت

أما أنا، فبدأت أفكر في السودان.
. قرأت، وبحثت، ونظرت إلى الخرائط

واليوم، عزيزي اليوميات،
. أكتب لك من مكان جديد

أنا أجلس قرب نهر النيل،
أشرب الشاي، وأنظر إلى النجوم.
الشمس هنا لا تغرب،
. بل تذوب في الماء

أرسلت لهيبا طرداً:
دفترها، وقليل من الرمل، وكركديه،
والبجعة البرتقالية،
. وصورة لي على جبلها الحبيب

ربما نحن بعيدتان،
لكنني أعرف أن المسافة ليست حقيقية.
البيت، في النهاية،
. هو المكان الذي يقدم لك فيه أحدهم كوب شاي

**عزيزتي هيبا،**
تسلّقتُ جبل البركل.
كنتِ على حق:
العالم من هناك
صغير وكبير
. في الوقت نفسه

ومع الرمل بين أسناني،
**ليزا**